

أكد الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف الداعية راشد سعد العليمي أن الدعاء عبادة عظيمة لا تخضع للرأي، وأنه ليس للمسلم سبيل لمعرفة ما يحبه الله إلا من خلال ما شرعه خلال كتابه الكريم أو على لسان نبيه الأمين ﷺ، متسائلاً: هل رغبتنا الإسلام في التوجه إلى الأموات الذين يفتقرون إلى رحمة الله لندعوهم ونشركهم في الدعاء ويكونوا لنا شفعاء عنده سبحانه؟

«الأنباء» التقت العليمي للحديث عن أحكام التوسل في الإسلام، وما هو مشروع منه وما هو ممنوع.

مع مناقشة لأبرز الشبه التي تجيز التوسل بالأموات والقبور والرد عليها بأدلة القرآن والسنة الصحيحة وأقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين،

وفيما يلي تفاصيل اللقاء:

إعداد: ضاري المصطري

دعا القراء عبر «الأنباء» إلى التعلق بدعاء الله وحده في كل زمان ومكان لأن التوحيد يظهر جلياً في هذه العبادة العظيمة

## العليمي: التوسل بالله يكون بأسمائه وصفاته ويتقديم القربات واتباع هدي النبي ﷺ وبدعاء الرجل الصالح

وقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال ابن مسعود «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم»، فابن الاستدلال من الآية على جواز التوسل بالأموات؟ فمن كان يرجو رحمة ربه كيف سيعطيها لغيره؟ وكما قيل فاقده الشيء لا يعطيه.

كذلك ربنا سبحانه وتعالى حث الصحابة رضي الله عنهم على التوجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام لو وقعوا في خطأ أن يستغفر لهم، وهذا التماس منهم بدعائه، وهذا دليل قوي على التوسل به؛

● هذا القول يستدل به من قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمًا) لكننا نقول إن هذا الأمر معلوم من الآية الكريمة (جاءوك) أي حضروا عندك، ثم (واستغفر لهم الرسول) فهل من يأتي إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام ويتوسل به ويدعوه فالتنتيجة له ستكون أن النبي عليه الصلاة والسلام سيستغفر له؟ لا دليل على هذا الأمر بنص صحيح.

ما ركد على ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في أنه طلب من العباس أن يتوسل لهم عند الله، فكانت عند النبي ﷺ منقول هذا من عظيم فقه وكريم محبة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنده لآل البيت النبي ﷺ، فقدم العباس الاستسقاء لكريم صلة العباس بهذا النسب الشريف، وهذا لا مانع فيه في كل زمان ومكان بأن تقدم آل بيت النبي في مثل هذه الأمور.

بعض الناس قد يحتج بجواز التوسل بمن مات على ما ذكره الله في كتابه (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةٌ من ربكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة). وهذا نص قرآني كريم؟

● هناك في القرآن أخبار وهناك أحكام، فليست كل أخبار القرآن تكون لنا حكماً شرعياً تقتدي به، مثل سجود آل يعقوب ليوسف، فشرعنا يحرم السجود لأحد إلا لله تعالى، فهل نقول الخبر حجة علينا بالفعل؟ وأيضاً ما فعله بنو إسرائيل مع آلهم وهو وجود التابوت لينصروهم الله به، لكننا لم نسمع أن النبي ﷺ فعله حينما كان يرسل سراياه، فهل أرسل معهم قميصه أو عمامته أو شيئاً من آثاره المباركة لينصروا بها؟ لم يحصل هذا أبداً، فلماذا من تمسك بهدي النبي ﷺ كان على جادة الحق.

نصيحة أخيرة توجهها للقراء الكرام في نهاية اللقاء.

● قبل النصيحة للأحباب الكرام، أشكركم على هذه الثقة بالاستضافة، وأيضاً ادعوا القراء الأحباب للتعلق بأعظم عبادة وهي الدعاء لله وحده في كل حين ومكان، فالتوحيد لا يظهر إلا من العبد إلا من خلال هذه العبادة وهي دعاء الله وحده في ربنا وربنا، ولأجلها كان مكة وبغداد، وفي كل زمان ومكان.

جواز التوسل به ميتاً؟

هناك دليل الرجل الأعمى الذي رد الله بصره ببركة دعاء النبي ﷺ وبقوله: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد.. أليس هذا دليلاً واضحاً بجواز التوسل بالنبي حياً وميتاً؟

● هذا استدلال جيد بالنصوص الشرعية، ولكن لننظر إلى الحديث، فهو ابتداء فيه جواز التوسل بدعاء الرجل الصالح، وأيضاً نلاحظ أن النبي عليه الصلاة والسلام وجه الضريس إلى دعاء الله بنفسه، وهذا أمر مطلوب، لكن الأعمى رغب بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام لبركة وقرب النبي عليه الصلاة والسلام إلى الله تعالى، ومن يقرأ الحديث جلياً يجد فيه قول الأعمى لربه (اللهم شفعه في) ولم يقل (يا نبي الله اشفع لي عند ربك).

لم يفعله الصحابة

لكن قد يقال إن هذا لا يمنع من فعله بعد وفاة النبي ﷺ؟

● هذا استدلال جيد، ولذا نقول إن خير من فهم النصوص الشرعية هم آل والصحابة رضي الله عنهم، ولذا فإننا نعلم أن هناك من الصحابة من فقدوا بصرهم بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام لأسباب عديدة، منهم ابن عباس وجابر وغيرهم، فهل جاء منهم من قال هذا الدعاء وتوسل بذات النبي عليه الصلاة والسلام، أو توسل بجاه النبي صلوات ربي وسلامه عليه، مع أن القبر الشريف قريب منهم؟

من يقرأ كتاب ربنا ويجد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) يلاحظ أن هذا تيسير من الله في بلوغ مرضاته بأي سبب كان ويشمل الذوات الصالحة والأولياء وغيرهم؟

● من يقرأ في كتب التفسير يجد إجماع المفسرين على أن الموصود من الوسيلة في هذه الآية هي القربى إلى الله، أي التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه، وهذا موجود في تفسير ابن كثير، والطاعة لا يتحقق فيها القبول إلا بالإخلاص وكمال المتابعة للشيء عليه الصلاة والسلام، فهل علمنا شرعنا أن نتوجه إلى الأموات لندعوهم ونشركهم آل الدعاء والتقرب إلى الله ويكونوا لنا شفعاء؟

البعض يرى أن قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته) دليل على جواز التوسل بالأموات؟

● نعم ربنا قال هذا، ولكن ما موضعها في الاستدلال بجواز التوسل بالأموات؟ فالآية بتمامها (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته وبخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) وتفسيرها أي (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم) أي بالكيفية (ولا تحويلاً) أي بأن يحولوه إلى غيركم، والمعنى أن السذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر،



الداعية راشد سعد العليمي

تجوز، لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقا، وفي فتاوى العز بن عبد السلام: أنه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته، لا الأنبياء ولا غيرهم.

لكننا نعلم أن حق النبي ﷺ علينا عظيم، وهناك دليل على أن له جما عند الله سبحانه، فهل النبي السابق يشمل التوسل والتقرب إلى الله بجاه النبي ﷺ؟

● الحكم السابق من العلماء يشمل كل نبي، ولو كان هناك استثناء لبعضهم، وأيضاً من هذا الذي جعل على الله تعالى حقا بأمر لم يفرضه الله على نفسه؟! فتحن نعلم عن عظيم مكانة النبي ﷺ عند الله ولكنه له حدود ومنزلة لا يتجاوزها أبداً، ومن ذلك أنه لا يستقل بالشفاعة للناس يوم القيامة إلا بإذن الله له، ولا يمكنه أن يتسفع لأناس من أمته عند الحوض بعد أن أبعدهم الله عن ذلك يعني استحقاها للعبد الدالة على حدود مكانة الأنبياء عند الله.

عبارات بدعية

هل هذا يعني أن مقولة «بحق محمد» أو

سببا لبلوغ حاجتنا إلى الله سبحانه، ومن ثم نتخذ الأموات شفعاء عند الله؟ ولذا نقول: تعاملنا مع الناس في الحياة الدنيا له قانونه الخاص، وحياة البرزخ (القبر) له تعامله الخاص، فابن الدليل على أن حاجتنا تصل إلى الله من خلال الأموات؟ ولذا ورد عند العلماء الحنفية ما يأتي: قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال الزبيدي: كره أبو حنيفة وصاحبه أن يقول الرجل: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك، إذ ليس لأحد على الله حق، كما في «الدر المختار» و«الفتاوى الهندية»، ومقصود الإمام رحمه الله هنا هو التحريم، وهذا ما أوضحه ابن القيم رحمه في كتاب «إغاثة اللهفان».

وهل هذا قول غيرهم من العلماء؟

● نعم، والأمر أكثر من أن نحصيه، وأتذكر قول أبي الحسن القدوري رحمه الله حين قال: المسألة بخلقه لا

لا يجوز سؤال الله بحق نبي أو رسول أو بحق البيت الحرام ولا بشيء من مخلوقاته لأنه ليس لأحد على الله حق

سجود آل يعقوب ليوسف وتبرك بني إسرائيل بالتابوت من أخبار القرآن التي لا يلزم أن نستفيد منها حكماً شرعياً

هل أرسل النبي ﷺ قميصه أو عمامته أو شيئاً من آثاره المباركة لينصر بها سراياه؟

ولكن هل يعني هذا مشروعية الوسائط مع الله سبحانه؟

● الوسائط نوعان، فهناك الوسائط المشروعة مثل ما سبق بيانه، وهناك وسائط ممنوعة، وجاء النهي عنها شرعاً، حتى لو استحسنتها الإنسان بعقله ورايه، لأن الواجب علينا عرض الأمور القولية والفعلية على ميزان الشرع.

هل نفهم أن هناك من خالف في قضية التوسل والتقرب إلى الله فوقع في المحرم؟

● نعم، فهناك من توهم أن حال الله سبحانه وتعالى مثل حال ملوك الدنيا، لا يبلغ الأمر إليه إلا من خلال الوسائط والحجاب، وتوجه أولئك الناس إلى من يظنون أن له مكانة عند الله بسبب طاعته وصلاح أمره في الدنيا فجعلوه بعد وفاته سبباً لبلوغ دعائهم عند الله، لكننا نعلم أن الدعاء يصل إلى الله من غير واسطة، قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان).

ولكننا نعلم يقيناً أن هناك من الناس من كانوا أهل صلاح وعبادة وشهد الناس على خيرهم، فلم لا نجعلهم سبباً في بلوغ حاجتنا إلى الله سبحانه؟

● الشهادة بالخير للإنسان أمر مستقل، فما علاقته بجعله

نريد الحديث عن التوسل في الإسلام، وما هو المشروع منه وما هو ممنوع، لكن أولاً نريد أن نعرف ما المقصود بالتوسل؟

● التوسل هو طلب الوسيلة، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)، أي التقرب إلى الله سبحانه بشئ من أنواع العبادات القولية والفعلية.

وهل هذا الموضوع يدخل ضمن العبادات التي لا تدخل الرأي فيها أم إنه خاضع لما يراه المسلم مناسباً في الأداء؟

● التوسل عبادة، فليس لعقولنا سبيل لمعرفة ما يحبه الله سبحانه إلا من خلال ما شرعه وأمرنا به الله سبحانه من خلال كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ.

التوسل المشروع

هل بالإمكان توضيح أنواع التوسل المشروع لأي مسلم فعلاً أو قولاً؟

● أنواع التوسل يمكن حصرها في الآتي: أولاً التوسل إلى الله بعمل صالح، فأفضل الأمور التي يمكن جعلها سبباً للاستجابة وبلوغ الطلب إلى الله أن يكون ذلك بعمل صالح، وقد جاء في الحديث القدسي «وما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما اقتصدته عليه وما يزال عبيد يقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»، ومثل هذا من يتوسل بصلاته أو قراءة القرآن، كان يقول «اللهم إن كنت صليت ابتغاء وجهي فاغفر لي أو يسر لي حاجتي»، وثانياً التوسل إلى الله بالإيمان به واتباع نبيه ﷺ، ودليل هذا قوله تعالى: (الذين يقولون ربنا إننا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا وفنا عذاب النار)، وثالثاً التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ودليل هذا قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)، ورابعاً التوسل بدعاء رجل صالح كان يلتصق العبد دعوة من رجل صالح يدعو له بها عند الله، ومثال ذلك دعوة النبي ﷺ للمرأة السوداء التي كانت تصرع.

ولكن هل يعني هذا مشروعية الوسائط مع الله سبحانه؟

● الوسائط نوعان، فهناك الوسائط المشروعة مثل ما سبق بيانه، وهناك وسائط ممنوعة، وجاء النهي عنها شرعاً، حتى لو استحسنتها الإنسان بعقله ورايه، لأن الواجب علينا عرض الأمور القولية والفعلية على ميزان الشرع.

هل نفهم أن هناك من خالف في قضية التوسل والتقرب إلى الله فوقع في المحرم؟

● نعم، فهناك من توهم أن حال الله سبحانه وتعالى مثل حال ملوك الدنيا، لا يبلغ الأمر إليه إلا من خلال الوسائط والحجاب، وتوجه أولئك الناس إلى من يظنون أن له مكانة عند الله بسبب طاعته وصلاح أمره في الدنيا فجعلوه بعد وفاته سبباً لبلوغ دعائهم عند الله، لكننا نعلم أن الدعاء يصل إلى الله من غير واسطة، قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان).

ولكننا نعلم يقيناً أن هناك من الناس من كانوا أهل صلاح وعبادة وشهد الناس على خيرهم، فلم لا نجعلهم سبباً في بلوغ حاجتنا إلى الله سبحانه؟

● الشهادة بالخير للإنسان أمر مستقل، فما علاقته بجعله

الجهال توهموا أن حال الله تعالى كحال ملوك الدنيا لا يبلغه الأمر وحاجة الخلق إلا من خلال الحجاب والوسائط

مكانة النبي ﷺ عند الله عظيمة ولها حدود لا يتجاوزها ولا يمكنه الشفاعة لمن أبعده الله عن الشفاعة

لم يسأل صحابي ربه بحق نبي أو صالح.. ولم يتوسل ابن عباس وجابر رضي الله عنهما بقبر النبي ﷺ حين فقدوا بصريهما آخر عمرهما